

2003

## الإشباع الصوتي في المقاطع العربية: أوضاعه، وأهميته في التعبير اللغوي

عبد الحميد الأقطش  
جامعة اليرموك، الأردن

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat>



Part of the [Arabic Language and Literature Commons](#)

### Recommended Citation

Dirassat, "الأقطش, عبد الحميد (2003) "الإشباع الصوتي في المقاطع العربية: أوضاعه، وأهميته في التعبير اللغوي Vol. 11 , Article 14.

Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat/vol11/iss11/14>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Dirassat by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact [rakan@aarj.edu.jo](mailto:rakan@aarj.edu.jo), [marah@aarj.edu.jo](mailto:marah@aarj.edu.jo), [u.murad@aarj.edu.jo](mailto:u.murad@aarj.edu.jo).

## الإشباع الصوتي في المقاطع العربية أوضاعه، وأهميته في التعبير اللغوي

د/ عبد الحميد الأقطش

جامعة اليرموك

الأردن

### ملخص :

في هذا البحث تعريجة على ظاهرة صوتية صرفية صغرى، وغير مطردة في العربية طبقا لقوانين لغوية ثابتة، وإنما على الرواية، على أنها مهمة وذات فاعلية، فلا يحسن أن تدفع بنكران؛ إذ هي ثابتة بنقل موثوق من كلام العرب: الفصح منه والعامي على سواء. والظاهرة هي موسوعة أعلاه بتسمية (الإشباع الصوتي في المقاطع العربية).

فقد وسعتها الفصحى في بعض من مقامتها الشعرية، وأثارتها الكلامية، وفي ضرب من المتواتر من قراءة القرآن الكريم. وكذلك أرخت العامية الحبل لها في شيء من الأهازيج الشعبية، وفي الوصلات اللهجية المنبورة نبرا قويا.

وجرى تقريب الكلام حول الظاهرة في شطرين: شطر يبسط من الأمثلة الموافقة بما يشرع لها قبولا أو رفضا، وشرط يبسط من الشرح بما يستكشف قواعدها ووظيفتها في التعبير اللغوي.

وخلص البحث إلى أن الإشباع في العربية أسلوب عمل مشروع، ومتأكد جداً، وهو قد يجيء اختياراً أو اضطراراً، ويصيب المقطع المغلق أو المفتوح، ويتكون من تضام حركتين: (حركة المقطع الأساسية + حركة الإشباع الثانوية)، بحيث تنجم منهما معاركة مقطعية واحدة، لكنها ممطولة مطلاً كمياً زائداً عن الحد الطبيعي لمثلها في نفس موقعيتها. ويؤثر الإشباع في الأبنية الصرفية الموافقة، فتصبح بدورها ثنائية التشكيل الصرفي (بنية الوضع الأصلية + بنية الإشباع الصورية).

ويتجزأ تبعاً للملمح الكم فيه إلى (إشباع الحركة القصيرة) هكذا: (يَنْبَعُ : يَنْبَاعُ، طَحَال : طَاحَال، لَبَان : لَوْبَان، و (إشباع الحركة الطويلة) هكذا : شَفَعَاء : شَفْعَاء، سِيء : سِيء، قَرَوء : قَرَوء .

ويؤدي الإشباع وظائف متنوعة: تركيبية، وفوق تركيبية، فأما الأولى فأبرزها أنه يعمل بمثابة عامل من عوامل (التوليد اللغوي) التي تنمي اللغة بالزيادة في ثروتها المعجمية. وأما الثانية فأبرزها أنه يعمل بمثابة عنصر من عناصر (التطريز الدلالي) التي تشيع في اللغة قدراً من اللطائف العروضية، أو البيانية، أو الإيقاعية ثم إن الإشباع الصوتي بعد سلوك لهجي قديم حديث معاً.

## 1- المدخل:

ويعرض هذا المدخل لمفاهيم عامة، حول ثلاث القضايا الآتية وهي: نمطية الأبنية الصرفية العربية، والصلات العضوية فيما بينها، والعلاقة بين الحركات القصيرة وأصوات المد.

### 1.1 النمطية في الأبنية الصرفية:

ميزة في أسرة اللغات السامية، وبضمنها العربية، أنها تتنظم أشكالها في قوالب أشكالها في قوالب نمطية جاهزة، وذات بناء مبسط ومنظم، وذلك ملحوظ في فواصل: الأسماء، والصفات، والأفعال على سواء؛ فأما بقية الفواصل، مثل: الضمائر، والحروف، والأدوات، فهي جامدة على حدها، فضلاً عن كونها قليلة الكم أصلاً. ولقد وضحت ميزة النمطية الجاهزة لدى فقهاء العربية، منذ ابتداء نشاطهم اللغوي في القرن الثاني الهجري. ففطنوا لتلك القوالب الجاهزة وفق الآلية التي تعرف بالميزان الصرفي. وبها أمكن لهم أن يرسموا هيكلًا تنظيميًا لمفردات الفصحى، حوالى

1- انظر: عبد الصبور شاهين: دراسة إحصائية لجذور معجم التاج ص 7.

ثمانين ألف كلمة، بإحصاءات معجم اللسان والتاج<sup>(1)</sup>. وقد صبوها في زهاء ثمان وثمانين وثلاثمائة بناء صرفي، أو ما يزيد قليلا أو أكثر ببعض الاستدراكات<sup>(2)</sup>. وكل بناء مختلف بعض المخالفة عن البناء الآخر، ثم إنهم ناسبوا وظائفها بين تلك الأبنية المتنوعة، بعضها إلى بعض، بالأصالة أو الفرعية؛ مما أسفر بالمحصلة عن لوحات تنظيمية، أو إرشادية على مستوى راق.

وقد فرضت صناعة الأبنية الصرفية نفسها على السياسة التعليمية المتعلقة بمباحث العربية آنذاك، واليوم أيضا.

وكذلك فإن أصداء الأبنية الجاهزة متواترة في لغة العرب الشعرية؛ فشعر العرب شعركمي صراح، وقوامه لا تفعيلة واحدة، وإنما عدد من التفعيلات العروضية، وكل تفعيلة مملوءة باستغراق صوتي وزماني ثابتين وجبريين، وذلك لكي تجيء القصيدة على بحر ما، وإلا غدت قصيدة مزاحفة مزاحفة مكسورة<sup>(3)</sup>.

وتدل البلورة المتأنية لأشكال الأبنية العربية، أنها غير متحاجة، ولا فرادى كل بنية على رأسها قائمة، وإنما متداخلة متشابكة، كما هي الدوائر المائية، أو الأفرع الشجرية. ومن تعلق البحث أن يتصل به كلام عن الصلات العضوية بين الأبنية الصرفية.

## 2.1 الصلات العضوية بين الأبنية الصرفية:

وقد كان طبيعيا أمام الاختلاف والتعدد في أشكال الأبنية الصرفية، وأمام التداخل والتماثل في معامل الارتباط فيما بينها، كان طبيعيا أن يدخل الفقه اللغوي في نقاش حول الصلات العضوية بين الأبنية بعضها إلى بعض. وهو نقاش لا شك صعب. ولا سيما في مقام لغة مثل العربية موهلة في الوراثة كثيرا، وتاريخها اللغوي الأول غامض، وعلاقة ما بينها والكتابة قصيرة العمر، ولا ترتفع إلي أبعد من القرن الرابع الميلادي مع نقش (امرئ القيس)، فأما علاقة ما بينها والتدوين فأقصر عمرا، منذ عصر بني أمية<sup>(4)</sup>.

وعلى أنه يحسن أن يشار إلى نوعين من المقاربات اللغوية النظرية في هذا

2- انظر: الحديثي: خديجة: الأبنية الصرفية في كتاب سيبويه ص 6.7، الأقطش: الأبنية الصرفية في شعر عنتره ص 15، وظافر يوسف: الأبنية المستدركة على كتاب سيبويه ص 22، وعصام نور الدين: أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب ص 129.

3- انظر: عوني عبدالرؤوف: بداية الشعر العربي بين الكم والكيف ص 25.

4- انظر: ولفنسون: تاريخ اللغات السامية ص 170، ونولدكه: اللغات السامية ص 7، وظاظا، حسن: الساميون ولغاتهم 163، والسامرائي، ابراهيم: التطور اللغوي التاريخي ص 59.



المنحى وهما:

- مقارنة (أصول الصيغ).

- مقارنة (التحويل الداخلي في الصيغ).

### 1.2.1 - أصول الصيغ:

وأهم قسمات مقارنة أصول الصيغ، أنها منهج تصنيف وترتيب أكثر منها منهج تأصيل وتحليل. وهي تصدر في فرز صور الأبنية عن مفهوم (الجزر) المكون من صوامت وحركات قصيرة معا، فأیما بنية، اشتملت على الاثنتين وحدهما، فهي من الأبنية الأصول أو المجردة، وبخلافه فهي الأبنية غير الأصول، أو المزيدة.

وطالما لم ترتبط البنية بصيغة فعلية ارتباطا قیاسيا ملحوظا، فهي من الأبنية الجامدة على أصلها في وضع الواضع؛ المجردة والمزيدة في هذا على سواء؛ فإن كان لها ارتباط بالفعل فهي من فصيلة خاصة تسمى: المشتقات.

وعموما تنتهي هذه المقاربة نحو مراعاة الكم العددي في التصنيف، والتسلسل التصاعدي في الترتيب، ثم إنها تعد البنية المجردة بمثابة الأصل المنطقي أو الفلسفي، الذي تتحد منه البنية المزيدة، ورجح بعضهم أن يكون الأصل بنية فعلية (فعل ماض) ورجح آخرون أن يكون بنية اسمية (مصدر).

وكذلك تظهر خارطة الأبنية المتحصلة بهذه المقاربة متصدرة بالأبنية الأصول: الثلاثية، فالرباعية، فالخماسية. وليس باليد منها جميعا سوى قدر ضئيل جدا من الأبنية، ولا يعدو الثلاثة والعشرين بناء. وبعد الأبنية الأصول تتراسل الأبنية المزيدة، بحرف. فاثنتين، فثلاثة، فأربعة. وهذه ذات عد وفير، بل إنها خزانة الأبنية الرسمية الكبرى. وما تنفك هذه الخارطة لليوم تعد مرجعية التثقيف الأوسع انتشار في علم الأبنية الصرفية.<sup>(5)</sup> وبالمحصلة فمقاربة أصول الصيغ قلما تعكس معارف لغوية ركيعة حول الصلات العضوية بين الأبنية بعضها إلى بعض، اللهم إلا من وراء وراء.

### 2.2.1 - التحويل الداخلي:

وأهم قسمات مقارنة التحويل الداخلي أنها منهج تأصيل وتحليل للبنية الصرفية وتنعكس تجلياتها في الأبحاث اللغوية المقارنة، وهي تصدر في فهم نظام البنية عن تجزئتها لغويا، إلى مباني صوامت، ومباني حركات، وتعد الصوامت المعزولة عن

5- ابن جني: المنصف 13/1، وابن عصفور: الممتع في التصريف 31/1 والأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف 2/ 144، وعصام نور الدين أبنية افعل ص 82.

الحركات بمثابة (الجذر) المنطقي، أو الفلسفي لكل نسلاته من الأبنية الصرفية؛ لا في العربية حسب، بل في كل الأفرع السامية.

وتتوجه هذه المقاربة بالكلية نحو تشريح داخلي لأظهر آلية من آليات تكوين المباني الصرفية في أساسات، وهي الآتية المعروفة تقليدياً ب (الاشتقاق) مع إطلاق المصطلح لكنها تتوقف من هذه الآلية عند ملمح النشاط الملازم لها، فلا يبرحها، حتى لصار علماً عليها، وهو ملمح الاشتقاق بوسيلة إبقاء الجذر الصرفي ثابتاً كما هو من حيث العدد، ومن حيث الرتبة؛ على حين تزداد حشوات لغوية داخلية بين عناصر الجذر نفسه، وذات حرية في المناقلة والتحويل بعد هذا العنصر أو ذاك من عناصر الجذر نفسه أيضاً.

وتحول حوزة البحث المحدودة دون التبسط بكلام عريض حول خواص هذه المقاربة (6) وتوجب حصر الكلام في أقله، في الذي له صلة بمدار (الإشباع الصوتي). وكذلك يتقاصر الكلام على الأبنية الصرفية، التي تشتمل على مجرد صوامت وحركات لا غير، وتطال هذه الشريحة: الأبنية الصرفية: الأصول المجردة، وأبنية الزيادة بحروف المد. مع لزوم الاحتراز بأن مصطلح الزيادة في هذا المقام متعلق بالناحية الشكلية الصوتية في البنية، وليس بالناحية المعجمية الدلالية فيها. وهو ما نص عليه ابن جني بقوله "معنى زائد أنه ليس ب "فاء"، ولا "عين"، ولا "لام" وليس يعنون بقولهم زائد أنه لو حذف من الكلمة لدلت بعد حذفه على ما كانت تدل عليه وهو فيها" (7)

ونستهل بأبسط النماذج الصرفية المجردة. وهذه تتجزأ إلى جذر ثلاثي الصوامت وحركة قصيرة واحدة، وهي تجيء في بنية أحادية المقطع من نمط (ص ح ص). (8) وبمقتضى الخيارات المتاحة في نطق الحركات القصيرة في العربية فهذه البنية تمثل في ثلاث الصور الآلية (فَعْل: شَمَس، وفَعْل: جَدَعَ، وفَعْل: قَفَلَ)، حتى إذا انضافت حركة قصيرة أخرى بعد الصامت الثاني من الجذر الثلاثي نفسه، فعندئذ تنشأ بنية صرفية ثنائية التكوين المقطعي من نمط (ص ح + ص ح ص)، وهذه يسمح نظام تقليب الحركات فيها بأن تمثل في تسعة الخيارات النطقية الآتية (فَعْل: فَرَس،

6- انظر: فليش: العربية الفصحى ص 53، وبرجستراسر: التطور النحوي ص 62 وخلييل نامي: دراسات في اللغة العربية

ص 53. وشاهين: المنهج الصوتي ص 43.

7- ابن جني: المنصف 7/1.

8- الرمز (ص): صامت، والرمز (ح): حركة

وَفَعِلَ: كَتَبَ وَفَعَلَ: زَجَلَ، وَفَعِلَ: عَنَبَ، وَفَعِلَ: إِبِلَ، وَفَعِلَ: رُطِبَ، وَفَعِلَ: عُنُقَ، وَفَعِلَ: مَهْمَلٌ، وَفَعِلَ: مَهْمَلٌ). وعليه يكون باليد اثنتا عشرة، بنية صرفية، وهي أقصى ما يمكن تشكيله من الجذر الثلاثي الصوامت، والمستعمل منها عشرة فقط.

ومثل هذا العدد إنما يستوعب جزءا يسيرا من مسميات المعاني العربية، الأمر الذي حفز القوة الخلاقة في اللغة باتجاه المكاثرة نحو الأبنية الأوسع كما سواء على مستوى الصوامت أو مستوى الحركات. وحسبنا من كل ذلك ما طرأ من المكاثرة في متغير الحركات وعلى التعيين في أبنية الجذر الثلاثي الصوامت السابقة.

وفي الطوق، من الناحية النظرية البحتة، أن تتحصل باليد هنا عشرات الأبنية الصرفية، جراء التحويل الحركي للحركات بداخل الجذر الثلاثي الصوامت، ولكن ذلك لم يجر كذلك، إذ إن المستعمل من الخيارات الممكنة هنا زهيد ضئيل. وإحصاءاته في خارطة الأبنية تقع فقط في نيف وعشرة أبنية. غير أن ذلك طبيعي وعادي، من حيث إن اللغة أيما لغة كانت ليست قوالب جلمودية، ولا هي مصنعة بطريقة الحسبة المنطقية. وإنما هي ظاهرة اجتماعية قابلة للامتداد وللارتداد، وعرضة للثبات والتغير.

ونعلم أن إمكانات التحويل المهمة ذات قيمة، وتظل طاقة مخبوءة في أعطاف اللغة لعوز الاحتياجات، كجباثر عروضية في حال الضرورة، أو لطائف فنية في حال السعة وشيء من هذا النحو سنعرض له في القابل من صفحات البحث. وقد جاءت الأبنية المستعملة على ثلاثة الأنماط المقطعية الآتية:

- نمط (ص ح + ص ح ح ص) وعليه (فَعَال: غَزَال، وَفَعَال: كِتَاب، وَفَعَال: غُلَام، وَفَعُول: عَمُود، وَفَعِيل: رَغِيف، وَفَعُول: فُلُوس).

- ونمط (ص ح ح + ص ح ص)، وعليه (فَاعِل: كَاخِل، وَفَاعِل: خَاتَم).

- نمط (ص ح ح + ص ح ح ص)، وعليه (فَاعَال: سَابَاط، وَفَاعُول: نَاقُوس، وَفَاعَال: قِيثَار).

وبآية ما يتضح من المقابلة البنيوية بين نوعي الأبنية المجردة والمزيدة بأعلاه يلحظ أن الفارق بينهما من حيث الشكل، إنما هو فارق كمي محض، وليس في كم الصوامت، وإنما في كم الحركات، (القصيرة بإزاء الطويلة) ومسألة فارق الكم الحركي هذه هي أيضا من المقدمات المهمة التي يحتاج البحث أن يعتمدها ببعض الشرح.

### 3.1 - العلاقة بين الحركات القصيرة وأصوات المد:

ولقد نعلم أن الفقه اللغوي السامي، وبالضرورة العربي يهمل الخوض في بحث



الحركات بعامة، مقارنة ببحث الصوامت، وباستثناء الحبشية فلم تتجسد في غيرها رموز مستقلة للحركات القصيرة في صلب البنية الصرفية، وتعامل الفقه اللغوي معها، كما لو أنها جزء لا يتجزأ من الصوامت نفسها، بالرغم من نطقهما المتجزئ والمختلف.

وبأخرة في العصر الإسلامي الثاني حتى ضبط أبو الأسود الدولي الحركات القصيرة بالنقط، ومن بعد أعقبه الخليل بن أحمد فاستبدل بالنقط الرموز الإشارية المتداولة حالياً. (-،-) وهي الفتحة، والكسرة، والضمّة.

وفي المقابل فقد تجسدت رموز مستقلة للحركات الطويلة من أصل الوضع، وجعلت في أصل البنية الصرفية، على سواء هي ورموز الصوامت، وعدت مثلها من ضمن حروف التهجي (الثمانية والعشرين)، ودعيت بحروف المد، وأحيانا بأصوات المد (ا، ي، و)، وهي الألف، والياء، والواو.<sup>(9)</sup>

وبان فورة النشاط اللغوي العربي في القرن الثاني الهجري حظيت أصوات المد دون الحركات القصيرة باهتمام فائق جدا من الصرفيين والقراء. وقد انصب الاهتمام حول كشفها الوظيفي من الناحيتين الدلالية، والتصريفية، وأنتجت في هذين المبحثين قولات معرفية ضافية ومعقدة. وهي ملحوظة في أبواب مثل: معاني الزيادة، والإعلال، والوصل والوقف، ونحو ذلك. وأما بخصوص كشفها الصوتي فالحال فيه كما هي الحال مع الحركات القصيرة، كلتاها لم ترشح فيهما عن علماء السلف إلا شذرات معرفية مبسطة، وأحيانا غامضة، ومن المشكل. ولا غرو فخواص الحركات كلها ليست في وضوح خواص الصوامت. فضلا عن كون المعمل الصوتي عسرئد هو أعضاء البدن حسب. ومثلها قد يبين الصفات الرئيسية، وليس دقائق الصفات.

وفي عمر الحق أن يشار هنا إلى ملاحظات فرادى ذكرها عالم الصوتيات الماهر في القرن الرابع الهجري (ابن جني)؛ فلقد ناقش العلاقة بين الحركات القصيرة وأصوات المد وخلص فيها إلى أن الأولى أبعاض من الثانية، والثانية إشباع عن الأولى، وساق، وفي ذلك جملة من التقابلات منها "اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو فكما إن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث وهي: الفتحة والكسرة والضمّة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء،

9- انظر: الجبوري، سهيلة: الخط العربي وتطوره ص 56، وأيضا إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص 32، وعبدالرحمن أيوب: أصوات اللغة ص 156 وكمال بشر: دراسات في علم اللغة ص 26 وابن يعيش: شرح المفصل 87/10 والاسترابازي: شرح الشافية 211/2.

والضمة بعض الواو، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة<sup>(10)</sup>. وبعد ذلك قال "ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف، أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه، وذلك نحو فتحة عين (عمر) فإنك إن أشبعتها حدث بعدها ألف فلت (عامر). وكذلك كسرة عين (عنب) إن أشبعتها نشأت بعدها ياء ساكنة، وذلك قولك: (عَيْب). وكذلك ضمة عين (عمر): لو أشبعتها لأنشأت بعدها واو ساكنة، وذلك قولك (عُومِر). فلولاً أن الحركات أبعاض لهذه الحروف، وأوائل لها لما نشأت عنها، ولا كانت تابعة لها<sup>(11)</sup>.

وتتردد أصداء رؤية ابن جني في جل الفقه اللغوي القديم، وأيضاً في فقه الإقراء والقراءات. فقد أورد إمام التأليف في هذين المبحثين (ابن الجزري) "والجمهور على أن الفتحة من الألف، والضمة من الواو، والكسرة من الياء، فالحروف على هذا عندهم قبل الحركات، وقيل عكس ذلك<sup>(12)</sup>.

ويتضح من النصوص أعلاه أن الفقه اللغوي الموروث يقابل بين الحركات القصيرة وأصوات المد (الحركات الطويلة)، على أساس من ملاحظة (كمية الطول) فيهما. باعتبارها الملمح الأكثر وضوحاً، سمعياً على مستوى النطق وبصرياً على مستوى الكتابة، غير أن المرء يلحظ ههنا نوعاً من التداخل المعرفي بين تحليل النظام الصوتي، وتحليل النظام الكتابي، والأصل هنا هو مراعاة الصوت في صورته المسموعة لا المكتوبة؛ فالكتابة ليست سوى دوال إشارية نحو المسموع ليس إلا.

وليس ثمة مشكل في الطرح الذي يفسر كمية الطول في الفتحة القصيرة مثلاً، بأنها بعض من كمية الطول في أصوات المد؛ فهذا موضع تتلاقى فيه البعضية الصوتية والبعضية الكتابية على سواء، وإنما المشكل في الطرح الذي يفهم بأن الفتحة القصيرة إذا ما أشبعت حدثت بعدها ألف، وهو ما يعكسه النظام الكتابي من الجمع بينهما في البنية المقطعية الواحدة (عَمِر: عامر). وحق القياس وفقاً للنظام الصوتي السماعي أن لا تكون فتحة قصيرة قبل الألف، ولا علامة السكون الصفرية القيمة فوقها، هكذا: (عَمِر: عامر) وإلا تولد مشكل في استنطاق المكتوب، بالتقاء فتحة وألف مد التقاء مباشراً في مقطع واحد. وهذا مرفوض في الساميات فضلاً عن العربية

10- ابن جني: سر صناعة الإعراب 17/1.

11- ابن جني: سر صناعة الإعراب 18/1.

12- ابن الجزري: النشر في القراءات العشر 203/1.



(13)، ثم إن السكون فوق ألف المد لا موجب له أصلاً، لأن السكون من خواص الصوامت، لنفي الحركة عنها، وألف المد هي أصلاً حركة. على أنه يعتب في شرح المشكل هنا اجتهد عريض، والمهم فيه ولادة التساؤل؛ عما إذا كانت الخواص البنيوية في ألف المد (الفتحة الطويلة) مطابقة لمثلها في الصامت المشدد (المضعف) أم لا ؟ ويكاد الفقه اللغوي يتواتر على تفسير الصوت المشدد، بأنه وصلة صوتية محولة عن اندماج فلتين صوتيتين، متماثلتين ومتتاليتين، بنطقهما دفعة واحدة، وبنبوة لسان عن نقطة المخرج نبوة واحدة. وكثيراً ما يطرء وصفه، أي الصوت المضعف، بأنه صوت أشبع الاعتماد عليه في مخرجه، فانحبس جري الصوت معه مدة أطول من معتادها فيه قبل التشديد<sup>(14)</sup>. ونحسب أن الأمر سواء كذلك في ألف المد (الفتحة الطويلة)، فهي مثل الصامت المشدد يصح فيها، أنها وصلة صوتية محولة عن اندماج صوتين متماثلتين ومتتاليتين، ونطقهما دفعة واحدة؛ فالفتحة القصيرة تكون غير مدية، حتى إذا أشبعت بزيادة الكمية الصوتية فيها، فعندئذ تجتاز الطبيعي، وتتحول بالكميتين الأصلية وبالإضافة إلى الوضعية المسماة بألف المد.

وعليه فثمة مطابقة بنيوية بين التشديد في الصوامت، والمد في الحركات. ومثلاً يحمل التشديد قيماً وظيفية؛ دلالية وتصريفية، فكذلك المد الحركي، وهذه مسألة تتجلى عند مراقبة التحولات الصرفية، التي تجيء عليها صيغهما، ومن ذلك أن كليهما قد يؤدي وظيفة تمييزية دلالية كما هو في (حَجَرَ: حَجَّارَ، غَزَلَ: غَزَّالَ) وقد يؤدي وظيفة تصريفية إحلالية تقوم مقام غيرها من الوحدات اللغوية. كما هو في (رد: والقياس ردد، قال: والقياس قَوْلَ).

وعموماً فيقر علم الصوتيات المعاصرة أن يكون فارق الكمية الصوتية هو أبرز ما يمتاز به الحركات القصيرة عن أصوات المد (الحركات الطويلة). وتبعاً لمقاييس المعامل الصوتية، فالحركات الطويلة تقع في ضعف زمن القصيرة. ولقد يقال بعبارة أخرى: إن كل حركة طويلة تعادل قصيرتين. والذي يحدد الطول والقصير ههنا، هو العرف السائد عند أصحاب اللغة، وفي العادة فهو يقع في مائة وخمسين وحدة تذبذب في (الحركة القلقة)، ولها وزن نصف حركة قصيرة، وثلاثمائة وحدة تذبذب في

13- انظر: بروكلمان: فقه اللغات السامية ص 42، وفليش العربية الفصحى ص 45 وشالامين: المنهج الصوتي ص 41،

ويحي القاسم: أثر المقطع المرفوض في بنية الكلمة العربية ص 155.

14- ابن جني: الخصائص 531/1، وعبانة، جعفر: حقيقة الإدغام ص 47.

(الحركة القصيرة)، وستمائة في (الحركة الطويلة)، وسبعمائة وخمسين وحدة تذبذب في (الحركات المديدة) ذات الطول فوق زمن الحركات الطويلة (15). وصفوة ما تقود إليه العلاقات بين الحركات بعضها إلى بعض أنها كلها تنبجس من معين واحدة، لكنها تتفرع عند المصب إلى أنماط حركية متنوعة، وتتعاطى اللغة الفصحى بعدد محدود منها، ممثلاً بست الحركات الأساسية السالف ذكرها. وتلك الست الحركات هي أدوات الفصحى لصناعة مفهوم الإشباع الصوتي فيها، وذلك من خلال نظامين للإشباع وهما:

- نظام إشباع الحركات الطويلة.

- نظام إشباع الحركات القصيرة.

وبالضرورة أن يسري إشباع الحركات بعامة، على طبائع الصيغ الصرفية التي تحوز على تلك الحركات؛ فإنما الصيغ الصرفية المحل لها، وهي كالعرض فيها. وأياً كان الإشباع؛ بالحركة القصيرة أم الطويلة فإنه يؤدي إلى ولادة تشكيلية في الأبنية الصرفية التي يقع فيها، ما بين البنية في صورتها على أصل الوضع، وصورتها بعد عملية الإشباع. وفي معظم الأحيان فإن البنية الصرفية الإشباعية تبقى بنية فرعية وعارضة ثانوية بالمقارنة مع البنية الأساسية قبل الإشباع. على أنهما قد تتعايشان معاً، وتحظى كلتاهما بالقبولية أو بالصحة اللغوية، بنحو ما سيتضح لاحقاً، فأما تاليا فيحطو البحث نحو مناقشة الأمثلة الإشباعية الحية من خلال ما تفاوضت به ألسنة العرب في أنثارتهم وأشعارهم، ومن خلال ما وقع منه في لغة القرآن الكريم، وألحديث الشريف، ونوالي الكلام بتقدم إشباع الحركة الطويلة على إشباع الحركة القصيرة، من قبيل تقديم الإشباع المنتظم قياسياً، على الإشباع المرتجل سماعياً.

## 2- مادة الإشباع:

### 1.2- إشباع الحركات الطويلة المنتظم:

ويطردهذا النمط من إشباع الحركات الطويلة بصورة منظمة قياسية في لغة القرآن المجيد، بحيث يصح فيه أنه إشباع (قرآني) ومتصل بالتلاوة السليمة لأي القرآن. والمشروعية فيه تكمن في تواتر نقله عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولما ثبت "عن قتادة أنه قال: سألت أنس بن مالك، كيف كانت قراءة رسول الله، صلى الله عليه

15- انظر: ستيتية، سمير: تحليل الظواهر الصوتية ص 6، وعبيد، داود: أبحاث في اللغة ص 35 وعبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة ص 316، وعلم الصرف الصوتي ص 76.

وسلم ؟ فقال: كان يمد صوته مداً<sup>(16)</sup>، وكذلك لما جاء "في حديث ابن مسعود حينما كان يقرأ رجلاً من سورة التوبة، فقرأ الرجل كلمة (فقراء) مرسلّة على القصر دون المد (إنما الصدقات للفقراء والمساكين)، فقال ابن مسعود: ما هكذا أقرأنيها رسول الله، فقال الرجل: كيف أقرأكها يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال: أقرأنيها هكذا (للفقراء)، ومدها<sup>(17)</sup>.

وفي معتاد علماء التجويد القرآني أنهم يلقبون الإشباع هنا بإشباع (المد الفرعي) ويقدرّون استغراقه الزمني بمقدار ست حركات من حركات أصبع اليد، وهو ما يعادل سبعمئة وخمسين وحدة تذبذب<sup>(18)</sup>، وهم ينصّون على سنته في المشافهة، وأن سبيله في التلقي عن المقرئ، لا من رؤيا العين في المصحف. وبأخرة زمن أبي حاتم السجستاني ثبتت لإشباع المد في رسم المصحف الشريف علامة إشارية دالة عليه في هيئة خط متعرج هكذا (~) يوضع فوق محله<sup>(19)</sup>. (الحاقة: الحاقة، سيء: سيء، مفلحون: مفلحون). والأمثلة على ذلك وفيرة جداً، ولا تكاد تخلو منها صفحة من صفحات القرآن الكريم، ونجتزئ منها بضعة أمثلة شارحة حسب ، وبأدناه كشفها التميمي، ومسرّد بالأمثلة الموافقة<sup>(20)</sup>.

16- البخاري: صحيح البخاري ح. رقم 5045.

17- ابن الجزري: النشر: 424/1.

18- انظر: عطية قابل نصر: غاية المريد في علم التجويد ص 95.

19- انظر: القطان، مناع: مباحث في علوم القرآن ص 151، وصبيحي الصالح: مباحث في علوم القرآن ص 94.

20- توثيق الأمثلة سيذكر معها، عقب المثال مباشرة، وستخلو صفحة الحواشي إلا من توثيق الحالات الشارحة.



## ♦ خطاطة إشباع الحركات الطويلة:

م	نمطية الإشباع (ص ح ح ص)	النموذج			كمية الإشباع		اللقب ~
		ألفي	يائي	واوي	حركة الصيغ	ذبذبة	
1	صوت مد في مقطع مقفل بصامت مشدد	حاقة	-	أتحاجوني	6 حركات	750	مد لازم
2	صوت مد في مقطع مقفل بالهمزة	سماء	سيء	قروء	4-6 حركات	400 - 750	مد متصل
3	صوت مد في مقطع مقفل بصامت ساكن للوقف العارض	رحمان	نستعين	مفلحون	4-6 حركات	400 - 750	مد عارض
4	صوت مد في مقطع مقفل بصامت ساكن للوقف الدائم	ق~	يس~	ن~	6 حركات	750	مد حرفي

## الأمثلة:

1 - الحاقة، ما الحاقة. ق 1/69، فإذا جاءت الطامة الكبرى ق 34/79، فاذكروا اسم الله عليها صوآف. ق 36/22، لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان. ق 39/55، الله خير أما يشركون. ق 59/27، قال أتحاجوني في الله. 80/6.

2 - ويا سماء أقلعي. ق 44/11، وسي بهم. ق 77/11، فكلوه هنيئاً مرثياً. ق 4/4 ثلاثة قروء. ق 28/2.

3 - الرحمان، علم القرآن. ق 1/55، طوبى لهم وحسن مآب، ق 29/13 إياك نستعين. ق 5/1، يا بني اسرائيل. ق 4/2، وأولئك هم المفلحون، ق 5/2

4 - ق~ والقرآن المجيد، ق 1/50، يس~ والقرآن الحكيم. ق 1/36، ن~، والقلم وما يسطرون. ق 1/68.

وفي حاق العلم فإن إشباع الحركة الطويلة (إشباع المد) ليس مقصوراً على تلاوة القرآن الكريم، فثمة انتشار له في أدبيات التراث الشعبي الغنائية، في أهازيج (المواويل، والهيهواويات)، وأيضاً في بعض الوصلات اللهجية المنبورة نبرة شدة أو ارتكاز.

وجلاء التمثيل هنا لا تكلفه أسئلة الأقلام، وإنما أشرطة السماع تماماً مثلما هي

الحال في الإشباع القرآني، ففي كلتا الحالين يتعذر، وفقا للمعيارية الصرفية أو الإملائية المتاحتين في نظام الفصحى، أن يدون الإشباع برسم إملائي، أو أن يضبط بميزان صرفي.

وعلى سبيل التقريب الجزئي للظاهرة، نشير إلى إشباع الحركات الطويلة المميز لهجة السكان بمدينة (الخليل) الفلسطينية، وخاصة عند الوقف على المقطع الأخير من أبنية الكلمات، حيث تزداد الكمية الصوتية عما هو معتاد في ذاتها الأصلية.

- قال: قَالَ، روح: رَوْح، جيت: جَيْت

وقد نقارب أيضا بواحدة من أهاليج المديح الشعبي لدى الناس في إقليم الأردن.

أويها يا تميم يا مَلَك يا بَن المَلَاك      تَمَيَّيتْ لَكَ السَّعِدَ وَدَوَّرَه الأَفلاك  
وتَرَوْحْ لَدَيَارَ اليَهُودَ تَهْدُهَا      وَتَنْقَلْ حَجَارَهَا مَعَكَ لأَرْضُ الكِرَاك

وفي المظنون أن إشباع الحركات الطويلة قد عرفته اللهجات العربية القديمة، وكذا اللغة الأدبية، بيد أن مشكل الكتابة، وأيضا مشكل التدوين قد حالا دون وصول الأثر المنبثقة عن ذلك.

## 2.2 - إشباع الحركات القصيرة المرتجل:

لا يمتنع مستوى من مستويات التعبير اللغوي عن أن تنزل بساحته حُمى الإشباع الحركي بالحركات القصيرة الثلاث: الفتحة، والكسرة، والضمّة، وبخلاف ما هو الحال في إشباع الحركات الطويلة؛ فالإشباع هنا سهل رصده وتدوينه. إذ إنه يقع ضمن الإمكانيات العادية المتاحة في أنظمة العربية الصرفية، والإملائية معا، وبوسع العين أن تلمح النماذج الموافقة في الأشكال اللغوية الكتابية، مثلما بوسع الأذن أن تحسها في التفاوضات النطقية.

وكذلك حفلت المصنفات القديمة بهذا النمط الإشباعي، ولا سيما مصنفات اللغة الشعرية، ومصنفات اللغة الملحونة (لحن العامة). وقد أمكن لنا أن نستتخل من تلك المصنفات، ومن سواها قدرا وافرا من النماذج الحية التي جرت بها أقلام الكاتبين حقا، وامتد التراسل بها حتى وصلت إلينا. وبالإمكان إجراء المقايسة النظرية عليها، وتوسيع العدد كثيرا، وبالإمكان توسيع العدد بشيء من كلام الناس المسموع بزماننا، فالمسألة حية بعد، ولها معاشات واقعية في لغة الكلام الانفعالي الخطابي



خاصة، على أننا نؤثر توضيحها من خلال الموروث المدون لا الصوري.  
ونورد تاليا كشافا بتوزيعات الإشباع هنا، ومن ثم نعقبه بمسرد الأمثلة.  
❖ خطاطة إشباع الحركات القصيرة:

م	نماذج الإشباع (ص ح ح ص) (ص ح ح)	موضع المقطع المشبع			نهاية المقطع المشبع		هيئة البنية الصرفية		العدد
		الوقف	الحشو	الابتداء	مغلق	مفتوح	مفردة	مركبة	
1	عقارب، قواريرا	37	5	8	22	28	38	12	50
2	دراهم، مزودي	33	5	10	25	23	32	14	48
3	برقوع، ترعاهمو	22	1	3	12	14	16	10	26
		92	11	21	59	65	88	36	

#### الأمثلة:

#### 1.2.2 - إشباع حركة الفتحة القصيرة:

- ولنعم مأوى المستضيف إذا دعا
- كأن جياها في رعن زم
- فضلا يخيطان الوراق عليهما
- فأنت من الغوائل حيث ترمى
- وقول المزمز ينفذ بعد حين
- أقول إذا خرت على الكلكال
- لو أن عندي مائتي درهم
- واركب حمارا بين سرج وفروة
- والخليل خارجة من القسطل
- "أوس بن حجر" الكامل
- جرأ قد أطاع له الوراق
- "أوس بن حجر" الوافر
- بأيديهما من أكل شر طعام
- "الفرزدق" الطويل
- ومن ذم الرجال بمنزح
- "ابن هرمة" الوافر
- مواضع ليس ينفذها الإبار
- "القطامي" الوافر
- يا ناقتي ما جئت من مجال
- "الموشح للمزرباني ص 87" الرجز
- لا بتعت دارا في بني حرام
- "الموشح ص 87" الرجز
- وأعر من الخاتام صغرى شماليا
- "معاني القرآن للزجاج 68/1" الطويل

- أعوذ بالله من العقرب  
الشائلات عتد الأذنان  
"فصول لرمضان عبد التواب ص 185"
- أتتنا الرياح الغور من نحو أرضها  
بريح خرنباش الصرائم والحقل  
"ممتع في التصريف 159/1 الطويل"
- يجمع حلما وأناة معا  
ثمت ينباع انبياع الشجاع  
"الأشباه للسيوطي 354/1 السريع"
- ينباع من ذفرى غضوب جسرة  
زيافة مثل الفنيق المفرم  
"عنترة" الكامل
- قرنين كالذئبين يبتدرانني  
وشر صحابات الرجال ذئابها  
"المفلس الأسدي" الطويل
- صحا قلبه من سكره فتأملا  
وكان بذكرى أم عمرو موكلا  
"أوس بن حجر" الطويل
- العين تظهر الحب والبغضا  
وتظهر الإبرام والنقضا  
"بكر بن النطاح" الرجز
- ألا يا قومنا ارتحلوا وسيروا  
فلو ترك القطا ليلا لناما  
"علياء الأسدي" الوافر
- تحاسدت البلاد حتى لو أنها  
نفوس لساار الشرق والغرب نحوكا  
"حافظ إبراهيم" الرجز
- ظبي الحمى بالله ما ضركا  
إذا رأينا في الكرى صنيعا  
"المتبي" الطويل
- فذاك القصاص وكان التقاص  
فرضا وحتما على المسلمينا  
"الكامل للمبرد 17/1"
- بيننا تعنقه الكماة وروغه  
يوم أتيح له جـري سلسع  
"الأشباه 355/1" الكامل
- لو أسندت ميتا إلى نحرها  
عاش ولم ينقل إلى قابر  
"الأعشى" الرجز
- وقد علمت عرساك أنك آيب  
يخبرهم عن جيشهم كل مربع  
"أوس بن حجر" الطويل
- وتضحك مني شيخة عبشمية  
كأن لم ترى قبلي أسيرا يمانيا  
"عبد يغوث" الطويل
- إذا العجوز غضبت فطلق  
ولا ترضهاها ولا تملق  
"الانصاف 26/1" الرجز
- حتى تحاجزن على الروادي  
تحاجز الري ولم تكادي  
"القافية، لمحمد عوني ص 153" الرجز

- وفي مقطعات الأرجاز:

- فأغطيه المرأة والمكحالا .

- في كل يوم وليلاه،

- قد سمعنا صوت حاد جلجال،

- فلا ترى بعلا ولا حلالنا "القافية والأصوات اللغوية ص153"

- وفي لغة الحديث الشريف:

- ومن أكل من هذه الشجرة فلا يغشانا "شرح التسهيل 55/1"

- وحديث: متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد هذا الوادي " البخاري، ح. رقم 64 مغازي"

- وحديث: إذا الإنسان دفن فتفرق عنه أصحابه، جاءه ملك في يده مطراق فاقعده "

"مسند أحمد 7/3"

- وفي تلاوة القرآن المجيد:

- قرئ (تزوار عن كهفهم ق 17/18) مثل تحمار

"تفسير القرطبي 368/10"

- وقرئ (إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون)، وبالقصر فكهون بمنزلة حذرون

"البيان في غريب القرآن لابن الأنباري 16/2"

- وأيضا الآية (أو لامستم النساء ق 43/4) وبالقصر "لمستم"

"حجة القراءات لأبي زرة ص 203"

- وأيضا الآية (لكننا هو الله ربي. ق 38/18) وبالقصر لكنَّ

"شرح اللمع للعكبري ص 483"

- وآيات إشباع حركة الفتحة في مقاطع الفواصل القرآنية تترى، ونقتطف منها: (ولا

تخاف دركا ولا تخشى ق 20/77)، (وأكواب كانت قواريرا. ق 15/76)، (وتظنون بالله

الظنونا ق 33/10)

- وفي اللغة الملحونة:

- فقد سجل بض متقدمي الكتاب في حق العامة، وألسنة الناس الشعبيين عن لهجة

أهل اليمن من أنهم "يشبعون الفتحة عند إسناد الفعل الناقص إلى ضمير الرفع

فيقولون: دعاتا في دعنا، وليس إثبات الألف بالوجه القوي" "التصريف للزنجاني ص 143"

- ومثله عن لهجة أهل الحجاز من أنهم يلتزمون بالإشباع مطلقاً في كل ما هو حركة لحرف الروي، وقفاً، ووصلاً، قصد الترنم أم لا، فيقولون: "أقلي اللوم عادل والعتابا"، ويقرأون "وتظنون بالله الظنونا" "معاني القرآن للأخفش 177/1"
- ومثله عن لهجة بعض قيس وربيعة من أنهم يشبعون الفتحة القصيرة وصلاً، وعليه قرئ بإثبات الألف في "لكننا هو الله ربي" "شرح اللع ص 483"
- ومثله ما ذكر عن عامية أهل الأندلس وأقاليمها، فذكر الزبيدي أنهم يقولون: "عرعار، وبرواق، وقبار، وكله بالقصر" "لحن العامة ص 170"
- وذكر ابن الجوزي أن عامة زمانه يقولون "لمجمع الماء الحار: حامة، وإنما هي حمة على وزن فعلة" "المدخل إلى تقويم اللسان ص. 220"
- ومثله ما ذكره ابن مكي عن عامية أهل صقلية أنهم يقولون: "قاتول، وجاروف، وغاسول، وخالوق، وقادمون، ويقحمون الألف في قولهم "أنت في حال، وسر في داعة الله، وكله بالقصر" "لحن العامة ص 154"
- وإشباع حركة الفتحة القصيرة ملحوظ بعاميات زماننا في الإنشاد الحزين والمواويل، وعند النبر على المقاطع الأحادية التكوين من نمط: كام في كم، وجاد من جد، وغير ذلك.

## 2.2.2 - إشباع حركة الكسرة القصيرة

### - في لغة الشعر:

- قرحاء حواء أشاطية وكنت
- فيها الذهاب وحفتها البراعيم
- "علقمة بن عبدة" البسيط
- تنفي يداها الحصى من كل هاجرة
- نفي الدراهم تنقاد الصياريف
- "الفرزدق" البسيط
- وسواعيد يختلين اختلاء
- كالمغالي يطرن كل مطير
- "عمرو بن الأهم" الخفيف
- أو في السرارة من تيم رصيت بهم
- أو من بني خلف الخضر الجلاعيد
- "تميم بن مرة" البسيط
- أو الخشرم المبعوث تحت دبره
- محابيض أرداهن سام معسل
- "الشنقري" الطويل



- أفدي ضاء فلاة ما عرقن بها  
"المتنبي" البسيط
- أوأغضى وغضت واتسى واتست به  
مراميل عزاهها وعزته مرمـل  
"الشنقري" الطويل
- مطافيل أبكار حد نتاجها  
تشاب بماء مثل ماء المفاصل  
"أبو ذؤيب" الطويل
- لما نزلنا نصبنا ظل أخبية  
وفار للقوم باللحم المراجيل  
"عبد بن الطيب" البسيط
- يَجِدُن بنا عن كل حي كأننا  
أخاريس عيسوا بالسلام وبالنسب  
"معاني القرآن للفراء" 412/1
- إذا رأوني أطال الله غيظهم  
عضوا من الغيظ أطراف الأباهيم  
"القتال الجنابي" البسيط
- حتى تراعت في النعاج الخذل  
منها المطافيل وغير المطفل  
"أبو النجم العجلي" البسيط
- فأرتاح أحياناً وحيناً كأنما  
على كبدي ماضي الشبابة ذريب  
"ابن الدمينه" الطويل
- لا كعبد المليك أو كيزيد  
أو سليمان بعد أو كهشام  
"الكميت" الخفيف
- تلاقينا بعيبة ذي طريف  
وبعضهم على بعض حنيق  
"المفضل البشكري" الوافر
- أمن آل مية رائح أو معتدي  
عجلان ذا زاد وغير مزودي  
"الناطقة الذباني" الكامل
- أغرك مني أن حبك قاتلي  
وإنك مهما تأمري القلب يفعلني  
"امرو القيس" الطويل
- أمن أم أوفى دمنة لم تكلمي  
بحوماته الدراج فالمتتلمي  
"زهير" الطويل
- ألا أيها الليل الطويل ألا أنجلي  
يصبح وما الإصباح منك بأمثلي  
"امرو القيس" الطويل
- فلست وإن أضحو مضوا لسبيلهم  
بناسيهم طول الحياة ولا سالي  
"عبيد بن الأبرص" الطويل



- ألم يأتيك والأنباء تنمى  
بما لاقت لبـون بني زياد  
"قيس بن زهير الوافر"
- أعـاذل ليلك لم تنامي  
ونام العـاذلات ولم تنيـمي  
"جرير" الوافر
- ولقد سـرني صدودك عني  
في طلابيك وامـتـاعك مني  
"المثل السائر لابن الأثير 287/3"
- كأن العين خالطها قذاها  
بعـوار فلم تقـضي قـراها  
"القافية تاج الإيقاع لكشك ص 114"
- في رأس مشرفة القذال كأنها  
جمر بمسـهكة تشب لمصـطلي  
"أبو كبير الهذلي" الكامل
- كـأني بفتـخاء الجـناحـين لقوة  
على عـجل مني أطـأطئ شـيمالي  
"امرؤ القيس" الطويل

- ومن الأرجاز على إشباع حركة الكسرة قولهم :  
- لا عَهْدَ لي بنيضالْ      أَصْبَحْتَ كَشَنُّ البَالْ  
"فصول في فقه اللغة 183"
- وفي لغة الحديث الشريف :  
- "مروا أبا بكر فليصلي بالناس  
"شرح التسهيل 55/1"
- ومثله حديث : إن يقيم مقامك يبكى  
"البخاري، رقم "10" الأذان"
- ومثله حديث : قالت الأنصارية : إني نذرت رسول الله إذ نجاني الله عليها أن  
أنحرها، قال : بئسما جزيتها ! ولا نذر لأحد في ملك غيره "العقد الفريد 189/6"
- وفي تلاوة القرآن الكريم:  
فإن حركة ضمير الغائب، إذا سُبِقَ بالجار، أو الظرف، أو اتصل به فعل أو اسم (عَلَيْهِمْ،  
لَدَيْهِمْ، كَتَبَهُ) تشبع بياء إشباعاً للكسرة قبلها، وهي قراءة ابن كثير الداري، تقوية للهاء،  
وجرياً على الأصل، فيقرأ : "ما يفرقون بهي بين المرء وزوجه ق. 102/2"، "وإن ربه كان  
بهي بصيرا ق 84/15"، وهو الإشباع الملقب لدى القراء (بمد الصلة)  
"الحجة في علل القراءات أبو علي الفارسي 1/133"
- وفي اللغة الملحونة التي تنسب إلى بعض اللهجات القديمة: ما وصف بأنه "لغة  
ردئية في لسان رببعة، الذين يشبعون حركة الكسرة القصيرة قبل ضمير التأنيث،  
فيقولون ضربتيه، أعطيتكيه" "إرتشاف الضرب لأبي حيان 463/1"

- ومثله ما قيل عن قوم من اليمن ليسوا بفصحاء، وهم أزد السراة، حيث يشبعون حركة الحرف الموقوف عليه بما يناسبه، فيقولون مررت بعمرى بدلا بعمر "شرح الشافية للرضي 531/2"
- وفي لسان عامة قيس "إشباع حركة الضمير البعدية بما يجانس ما قبلها فيقولون: فيهمي، وعليهمي، وهو بالسكون وقفا" "إرشاف الضرب 468/1"
- وفي لسان هذيل، "وتميم أنهم يقولون: سميح وهذيل، وقزيع في سمح ومذل "معاني القرآن للأخفش 421/1"
- وشيء من هذا الإشباع قد سُجِّل عن أحوال العامة في إقليم الغربي ببلاد بعباد وما جاورها إبان القرن الرابع الهجري، فذكر "أن من أغلاطهم الفاضحة، أي أغلاط العوام قولهم: الخجيل، والخشين، والإبياء، والسيوس، وترك الياء هو الصواب" "درة الغواص للحريزي ص 21"
- وشيء من ذلك قد سجل حول لهجات الإقليم الغربي بالأندلس، وما جاورها، حيث سجل الزبيدي ولع العامة "بإقحام الياء في بعض المواقع التي حقها القصر فيقولون: الطيحال، والطيراز، والإيكاف وهيشام، والتيلاد، والثيرمار" "لحن العامة ص 107"
- وفي الحق إن ولع المغاربة بإشباع حركة الكسرة القصيرة مسموع جدا في زماننا هذا الذي به نحيا، ولا سيما في المقطع الموقوف عليه فتسمعونهم يقولون "حاميد في حامد."

### 3.2.2 - إشباع حركة الضمة القصيرة:

#### - في لغة الشعر:

- وإنني حيثما يثني الهوى بصري من حيثما سلكوا أدنو فأنظور "الممتع في التصريف 156/1 البسيط"
- لو أن عمرا هم أن يرقدوا فانهض قشد المنزر المعقودا "فصول في فقه اللغة ص 184 الرجز"
- خوذ أنه كالمهاة عَطْبُول كأن في أنيابها القرنفول "الممتع في التصريف 156/1 البسيط"
- وخذ كبر قوع الفتاة ملمع وروقبين لما يعدوا أن يقشرا "الناطقة الجعدي الطويل"

- ولي دونكم أهلون سيد عَمِلَسْ  
وارقط زهلول وعرفاء جيال  
"الشنفري" الطويل
- زعم البـوارح أن رحلتنا  
وبذاك خبرنا الغراب الأسود  
"الناغبة الذبياني" الطويل
- كرب القلب من جواه يذوبو  
حين قال الوشاه هند غضوبو  
"شرح ابن عقيل 287/1" الخفيف
- هجوت زبان ثم جئت معتذرا  
من سب زبان لم تهجو ولم تدع  
"معاني الفراء 188/2"
- فضلت لدى البيت العتيق أخيلهو  
ومطوأي مشتاق لهو أرقان  
"لبيد" الطويل
- وما كل ذي لب بموتيك نصحهو  
وما كل موت نصحهو بلبيب  
"موسيقيا لشعر لشكري عياد ص 252"
- سيخبر ما أحدثتموا في أخيكم  
رفاق من الآفاق شتى إياها  
"خزانة البغدادي 160/4" الطويل
- هنالكمو تهدمت الركايأ  
وضمنت الرجا فهوت بزمي  
"خزانة 154" الوافر
- أصبحت راعي أهل الدين كلهمو  
فأنت ترعاهمو واللّه يرهاكا  
"خزانة الأدب للبغدادي 37/9" البسيط

### - في تلاوة القرآن المجيد:

- قريء بإشباع حركة الضمة القصيرة في قوله تعالى: ﴿إياك نعبدو ق. 3/1﴾  
"شرح التسهيل 19/1"

### - في اللهجات القديمة:

- أهل الحجاز، وما جاورهم من أهل اليمن "يشبعون حركة الضمير، ويصلونها بواو، فيقولون مررت بهو، وليدهو مال، ويقرأون "فخسفنا بهو وبار هو الأرض ق 62/81"  
"معاني القرآن للأخفش 177/1"
- وزعم الكساني "أنه سمع بعض أهل العالية يقول: لا ينفعني ذلك وما يضورني، فلو قرئت "لا يضوركهم كيدهم. ق 3/20" على هذه اللغة كان صوابا" "معاني القرآن للقراء 232/1"

- وفي لسان العامة بالأندلس وما جاورها قولهم: "الدملوج في الدمليج، وعوش الطائر في عش، ولوبان في لبنان، وكورة في كرة"  
"المدخل إلى تقويم اللسان لابن الجوزي ص 146"

### 3 - قواعد التحليل

يتناول التحليل بالنقاش ثلاث القضايا الآتية وهي: مشروعية الإشباع، ونظام الإشباع، وأهمية الإشباع.

#### 1.3 - مشروعية الإشباع:

باية ما أزعجناه بالفقرة قبل فقرتنا هذه من أمثلة إشباعية يتضح أنها ظاهرة لغوية موجودة في العربية، ومتأكدة جداً، وعليها بيانات موثوقة في إنتاجات أدباء غير ضعفة، وإنما لهم سبق وعمق، وأيضاً عليها بيانات في نماذج من لغة القرآن المجيد، وفي نماذج من لغة الحديث الشريف، وفي مواضع من لهجات الخطاب اليومية الحالية، على أنها تبقى ظاهرة جزئية، ومحدودة بنطاقها، ووقوعها يبقى حالة ثانوية في المسير اللغوي العام للعربية، وليس حالة أساسية فيه. والمثاقفة حولها إنما هي مثاقفة تخصصية جداً بين ذوي البصائر في اللغة، أو من هم مقاربون لهم.  
وقد كان من شأن الأقران من علماء السلف الذين التفتوا إلى ظاهرة الإشباع هذه أنهم تناولوها تناولاً موضوعياً في مستويات لغوية أخرى غير قرآنية، وترتب على ذلك أن جاءت أحكامهم حول مشروعيتها مختلفة بين المستويين.

فأما في حق القرآن الكريم فقد أوجبوا ثواباً وأجراً حسناً لكل قارئ يقرأ القرآن الكريم فيمد صوته فيه، مشبعاً المواضع التي يجوز فيها الإشباع، ورأوا في ذلك سمة مؤثرة في اعتدال نسق الكلام، وحسن موقعه من النفس، حتى عدوه مكروهاً إن استبدل قارئاً بقراءة (الإشباع) قراءة القصر.

وبلغ من حرصهم على قبولية مبدأ الإشباع في تلاوة القرآن المجيد أن جعلوه أي الإشباع على مراتب، متفاوتة تبعاً لتفاوت مقدار الكمية الإشباعية اللازمة في هذا الموضوع أوداك.

ومن الأحكام المتداولة هنا، وجود إشباعات يلزمها طول بقدر ست حركات من حركات



أصبح اليد، أو قدر خمسين وسبعمئة وحدة تذبذب في الثانية، على حين تقل الكمية الصوتية في إشباعات أخرى لتكون بقدر أربع إلى ست حركات. والتفصيل موجود في كتب علم التجويد. وعرضنا لمجملته في الجدول الخاص بالإشباع القرآني سابقاً. ولقد أسميناه بالإشباع القرآني المنتظم، إيدانا بأنه قد غدا أنموذجاً يحفظ، ومن ثم يقاس على منواله، وأفردناه وأمثله بفقرة مستقلة بنفسها. فيمكن مطالعته فيها. (21)

وليس كذلك شأن الإشباع في الموضوعات غير القرآنية، فلم يحظ من ذوي العلم فيه بمشروعية، ولا قبولية، ونظروا إليه حيث وقع على أنه حركة شذوذ لغوية، وضرب من ضروب الضرورة وعيوب النظم في مجال القول الشعري.

والعادة في صنيع ذوي العلم هؤلاء، أنهم يكتفون على الأغلب الأعم بذكر بضعة أمثلة إشباعية، ثم يرسلونها متناثرة بلا نظام معين، ودون اعتناء حقيقي بالخوض في تكوينها الداخلي، ولا بمعرفة الأسباب وراءها، مكتفين بلفت النظر إلى أنها ظاهرة قد ندت عن المؤلف، وحكمها عدم المشروعية، وثمة تصريحات متنوعة تظهر فكرة الرفض لها مثل: (ومن أغلاطهم الفاضحة .....)، (وقد أولعت العامة....)، (وليس بالوجه القوي)، (ولغة رديئة في لسان ...)، (لغة في قوم ليسوا فصحاء....)، (وهو ضعيف في القياس .....).

وفي المقامات الشعرية ترد تصريحات مثل: (وقد اضطرته الضرورة....)، (فقد أشبع الحركة للضرورة....) (وهذه ضرورة...)، (أو عيب من عيوب إئتلاف اللفظ والوزن ....) (وأشبع للحاجة .....). (22)

وعلى أية حال فإن معظم هذه التعليقات السلبية ذات مرجعية متعلقة بالثقافة السائدة عن مفهومي (النقد الشعري، والتصحيح اللغوي) ومعلوم أن ديدن هؤلاء العلماء من نقاد أو نحاة أنهم ليسوا معنيين بالبحث في عمق الظواهر اللغوية، وإنما يعينهم رصدها، و تسجيل استعمالها، ومن ثم إبداء الرأي فيها قبولاً أو رفضاً، (23)

حتى إذا كان المقام مقام علماء لغويين مهتمين باللغة نفسها أو علماء من القراء فهؤلاء

21- انظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن 6، وعطية قابل: غاية المريد في التجويد ص 112، وص من البحث.  
22- انظر العبارات عند: الحريري: درة الغواص ص 21، وابن الجوزي: المدخل إلى تقويم اللسان ص 220، وعبدالعزیز مطر: لحن العامة ص 154، والزنجاني: التصريف العزى ص 143، وأبوحيان الأنداسي: ارتشاف الضرب 463/1 والاسترأبادي الرصي: شرح الشافية 531/2.

23- انظر: محمد السيد إبراهيم: الضرورة الشعرية ص 198، ومحمد عوني عبدالرؤوف: القافية والأصوات اللغوية ص 153، وأحمد كشك: القافية تاج الإيقاع الشعري ص 114، والقزاز القيرواني: ما يجوز للشاعر في الضرورة ص 127.



شأنهم الوصف، ومن ثم التعمق في الظاهرة ببعض التحليل، وبعض التعليل، بما يشف عن الغائية من ورائها، وخاصة أنها مرصودة في لغة النثر والشعر على سواء، وثمة بسطه في الشرح ستجيء لاحقة في موضعها بالفقرة المتكلمة على أهمية الإشباع في التعبير اللغوي.

### 3.2 - نظام الإشباع:

يكشف التسطيح اللغوي الشكلي والمجرد للنصوص السالفة أن لب المسألة في الإشباع يكمن في عملية التصرف بالكم الصوتي للحركات دون الصوامت والحرية في هذا المقام تتكئ على تحويل النواة المقطعية من نواة في هيئة حركة قصيرة واحدة؛ إلى نواة مقطعية في هيئة حركة طويلة، معادلة لحركتين قصيرتين. هكذا (ح: ح ح). وأما النواة الموجودة أصلاً في هيئة حركة طويلة فهذه تزداد طولاً بقدر حركة إضافية هكذا (ح ح ح ح ح)؛ ولا يقع ذلك في حركة دون غيرها، وإنما بكل أنواع الحركات المتاحة في العربية وهي: الفتحة والكسرة والضمة.

وعلى ما تنطق به النصوص المتوفرة فالإشباع يكون مستحباً نسبياً مع الحركة المركزية المتسعة مخرجاً، وهي حركة الفتحة. ومن ثم تأتي الحركات غير المركزية الضيقة مخرجاً وهما: الكسرة الأمامية ومن بعدها الضمة القصية.

ومن الجلي أن هذه الوضعية ذات صلة بمفهوم الخفة في نطق الحركات، فالجهد العضوي يكون أقل مؤنة على جهاز النطق مع الفتحة، فالكسرة، فالضمة.

ويلاحظ في ضوء معامل الارتباط العضوي في البنية المشبعة أنها تتوزع إلى فئتين، فأما واحدة فهي الأبنية الصرفية المفردة، وهي التي تحمل معاني معجمية مستقلة بنفسها وهذه هي المحلة الأساسية التي يسود الإشباع فيها (عَقْرَاب : عَقْرَب) وأما الأخرى فهي الأبنية الصرفية المركبة، وهي التي تنشأ بأثر من تعليق بنية صرفية بأخرى، مثلما هي الحال عند تعليق باسم أو حرف بفعل، أو اسم بضمير، وهذه يجيء الإشباع فيها قليلاً. (بنيضال: بنضال، فليصلي: فليصل، نُصَحُّهُو: نصحه).

وكذلك يلاحظ أن موقعية الإشباع تطرد عادة في المقاطع الختامية بآخر البنية الصرفية (خاتام: خاتم)، وتقل في مقاطع الابتداء، (قيتال: قتال) وتندر في مقاطع الحشو الداخلية. (لم تنامي: لم تنمي).

ويلاحظ في الوقت نفسه أن نهايات المقاطع المشبعة لا يمتنع فيها أن تكون مغلقة بصامت، (دراهم: دراهم)؛ أو طليقة بحركة. (الظنونا: الظنون).  
وحالة الإصمات هي الأكثر استقبالا للإشباع. وبالضرورة إنها وضعية متناسبة مع خصائص العربية التي تميل إلى الوقف على الأصوات الصوامت، لا أصوات الحركات حتى لغدت قاعدة مألوفة عنها (أنها لا تبدأ بساكن، ولا تقف على متحرك)؛ فالمقطع (ص ص) مرفوض في الابتداء، والمقطع (ص ح) مرفوض في الوقف.  
وعموما فإن نظام الإشباع في العربية ينعكس من خلال النصوص في ثلاثة الأنماط المقطعية التالية:

- نمط: ص ح ح ص.
- نمط: ص ح ح ص.
- نمط: ص ح ح.
- نمط (ص ح ح ص): وعنقوده الصوتي مكون من صامت، فحركة مديدة معادلة لثلاث قصار، فصامت، ويشيع هذا النمط في الإشباع القرآني خاصة، وهو محول بالأصل عن نمط (ص ح ح ص)، هكذا (سيئ: سيء).
- نمط (ص ح ح ص)، وعنقوده مكون من صامت فحركة طويلة معادلة لقصيرتين، فصامت. وهذا النمط هو صورة الإشباع الأوسع استعمالا في مجمل كلام الناس، وهو محول بالأصل عن نمط (ص ح)، هكذا (عوش: عُش).
- نمط (ص ح ح)، وعنقوده الصوتي مكون من صامت فحركة طويلة معادلة لقصيرتين، وإشباعاته محصورة تقريبا بحالات الوقف على حركة حرف الروي في الشعر، وفيما يلاحظها من النثر، وهو محول بالأصل عن نمط (ص ح)، هكذا (مزودي ... مزود).
- والتدقيق في الأنماط المقطعية الإشباعية بأعلاه يكشف أنها تنتمي إلى قواعد لغوية ثلاث هي:

- قاعدة (التقاء الساكنين).
- وقاعدة (الوقف على الصوت المتحرك).
- وقاعدة (المماثلة بين المقاطع الصوتية).

### 1.2.3 - قاعدة التقاء الساكنين:

وبداية تلزم الإشارة إلى استعارة هذا المصطلح من الدرس الصرفي التقليدي،

فثمة يطرد مصطلح التقاء الساكنين، ولا سيما عند توصيف التغيرات الصوتية التي تطرأ على تصريفات المعتل من الأسماء، والأفعال، عندما يظهر في تشكيلهما الصرفي مقطع ذو عنقود صوتي من نمط صامت فحركة طويلة، فصامت نحو (قال: ص ح ح ص). والإشارة هنا ضرورية لكيلا يقع التباس مع صور مقطعية أخرى يلتقي فيها ساكنان صامتان مثلما هو في حالة الوقف على آخر الثلاثي المجرد الساكن الوسط نحو (لحم: ص ح ص ص) ومثلما هو في حالة التقاء الساكنين الصامتين بحشو البنية نفسها، حين يكون أولهما جزءا من مقطع سابق، وثانيهما جزءا من مقطع لاحق نحو (يكتب: ص ح ص، ص ح ص) فالساكنان هنا غيرهما هناك فهما في الموضع الأول من التقاء متخالفين صوت حركة مع صوت صامت، بينما هما في الثاني من التقاء متماثلين صوت صامت مع صوت صامت وليس الوضع الثاني من اهتمام هذا البحث.

ومهما يكن فلا مشاحة في الاصطلاح، ثم إن المقام تحرير لماذا، وكيف يكون صوت المد (الحركة الطويلة) ساكنا ؟ ويعيننا هنا أن التقاء الساكنين بالتوصيف المحدد سابقا، ينتظم من المقطعيات الإشباعية التي مر ذكرها، نمطين من ثلاثة أنماطها وهما: النمط المقطعي (ص ح ح ح ص) والنمط المقطعي (ص ح ح ص)، ففي هذين النمطين يرد الساكن الأول في هيئة صوت مدّ، حركة طويلة، والثاني في هيئة صوت صامت محض، ولا من فارق بين النمطين إلا في الكم الصوتي الذي يكون عليه الساكن الأول، فهو معادل لثلاث حركات قصار في واحد، ومعادل لقصيرتين في الآخر، وكلاهما واسع وكثير الاستعمال.

وعليه يصح القول إن قاعدة التقاء الساكنين تتمثل جيدا في حالات الإشباع الصوتي ولقد يقال إن معظم حالات الإشباع تندرج في حيز التقاء الساكنين.

وهنا يثور السؤال كيف إن قاعدة التقاء الساكنين تكون مرفوضة ومقبولة معا ؟ ففي القاعدة العريضة أن التقاء الساكنين يعد مشكلا نطقيا في العربية، فيتكاهر اللسان نطقه، ويعمد عادة إلى جفوه والتخلص منه.

فإما كان الساكنان كلاهما صامتين، فيطرد فيهما التخلص من الثقل بالكسرة في الغالب، أو بالضمة أو الفتحة، نحو (لم يكن الذين، لهم بشرى، من الله).

وإما كان الساكن الأول صوت مد والثاني صامتا وظهرا في مقطع واحد، فيطرد



فيهما التخلص من الثقل بالحدف؛ عن طريق القضم الحركي لجزء من صوت المدّ و إن لم يظهر ذلك رسماً، نحو (يُحي الموتى) بالقصر في نطق (يحي)، ونحو (لم يقم في لم يقوم) حتى لبات قاعدة من قواعد النظام المقطعي في العربية (إن كل حركة طويلة في مقطع صوتي مغلق، فهي تقصر باستمرار)<sup>(24)</sup>

على أن العرف اللغوي قلما عرف قاعدة بلا استثناءات وقاعدة كراهة اجتماع الساكنين من النمط الذي يجتمع فيه صوت مدّ وصوت صامت في مقطع واحد لها صورة فرعية معاكسة لها. وتقضي باستحباب اجتماع الساكنين، لكنه استحباب مقيد، ومتوقف على توافر أحوال لسانية بعينها. وقد جاءت من خلال النصوص في أربع الحالات أدناه:

- حالة اجتماع صوت المد والصامت معا في مقطع واحد، وثانيهما صوت صامت موقوف عليه وقفاً عرضاً. وهذه الحالة هي أكثر الحالات الإشباعية وروداً وورودها مقيد بأواخر الكلمات تحديداً.

- حالة اجتماع صوت المدّ والصامت في مقطع واحد بحشو البنية، وثانيهما صامت مشدد بالإدغام والإشباعات عليها قليلة، وأكثرها قرآنية، على أنها في الكلام العادي موجودة.

- حالة اجتماع صوت المدّ مع صوت الهمزة حصراً، وهي حالة مطردة في الإشباع القرآني، بحيث لا تكاد تخلو منها صفحة من صفحات القرآن المجيد.

- حالة اجتماع الساكنين لدى نطق الأصوات المقطعة بأوائل السور الكريمة.

### 2.2.3 - قاعدة الوقف على المتحرك آخره:

وألمعنا إلى أنها قاعدة فاعلة بصورة مقيدة في النظام الإشباعي للعربية، فيما شأنه أن يتذيل آخره بمقطع من نوع (ص ح) قصير مفتوح، أو متحرك حركة قصيرة ما. ومثل هذا المقطع، لا يقوى في مثل هذه الوضعية اللغوية العربية أن يكون بؤرة لارتكاز الصوت، أو محلاً للنبر عليه، فتتلاشى بأثر ذلك نواة المقطع من المقطع، أي الحركة القصيرة وتؤول البنية الصرفية إلى بنية مغلقة بصوت صامت لا متحرك. وذلك هو الأصل، والأكثر الأغلب في هذه المقامات.

24- يحى القاسم: أثر المقطع المرفوض في العربية ص 155، وبروكلمان: فقه اللغات السامية ص 43، وقلبيش: العربية الفصحى ص 45، وابن الأنباري: البيان في غريب القرآن 53/1، وابن جني: الخصائص 496/2، وابن الجزري: النشر 90/2.



والتقنيات الشارحة حول الظاهرة هذه تعرضها المصنفات المختصة عند التكلم على أوجه الوقف في العربية، وعلى التعيين الوقف "بالسكون" وعلامته المشهورة حالياً داءرة صغيرة مستديرة تتموضع فوق الصوت الصامت وهي بالرسم العثماني في هيئة رأس خاء صغيرة. يقول ابن الجزري: "الوقف بالسكون عبارة عن تفريغ الحرف المتحرك من الحركات الثلاث، وذلك لغة أكثر العرب" (25)

على أن هذه الظاهرة تعرف سمتا استثنائيا معاكسا في بعض مخرجاتها، وتحديدًا في مخرجات الكلم الإشباعي، فبدلاً من حذف الحركة تجري زيادة في كميتها الصوتية، يتحول المقطع القصير المفتوح من نوع (ص ح) إلى مقطع طويل مفتوح من نوع (ص ح ح). وتعتب هذه الحركة الإشباعية في مقاطع الختام دون الحشو أو الابتداء، وهي فاشية في لغة الشعر كثيراً، في ضربه، وفي عروضه. وهناك ميل زائد نحوها في الروي المشبع بألف المدّ، وهو الإشباع الملقب بـ (ألف الإطلاق)، وتسمع هذه الحركة كثيراً أيضاً في إشباع حركات الضمائر المختلفة، في الإشباع الملقب لدى القراء بـ (مدّ الصلة) والأمثلة الموافقة كثيرة، ومرفومة بمطائنها من طيات هذا المبحث سابقاً.

### 3.2.3 - قاعدة المماثلة بين المقاطع الصوتية:

والأساس في هذه المماثلة، هو تقريب الصوت من الصوت بما يقوي الارتباط في البنية الصرفية، ويجعل أجزاءها المقطعية بعضها آخداً بأعناق بعض، فَتَسْمُحُ على الأذن ويطيّب جرسها. مع أن حق القياس فيها أن تجيء على المخالفة الصوتية بين أجزائها. وهذا مذهب في العربية فسيح، والاهتداء إليه من قديم، وله معالجات تحت مفاهيم عدة مثل: المزوجة والمشاكلة، والمجانسة والحمل على الجوار.

ويهم المبحث من كل ذلك أن ظاهرة الإشباع الصوتي محكومة في جزء من ثروتها بقاعدة المماثلة هذه. ويمثل ذلك في إشباعات مقاطع الابتداء، ومقاطع الحشو الداخلية دون مقاطع الوقف الختامية. فهناك ميل إلى إبدال المماثلة بالمخالفة عندما يتجاوز مقطع قصير مفتوح في أول البنية أو وسطها مع مقطع طويل بعده أو ذلك بإشباع حركة المقطع القصير المفتوح بما يسمح بحصول قدر من التوازي المقطعي التام أو المتقارب بين المقطعين هنا (نضال في نضال وإيباء في إيباء، وقادوم في

25- ابن يعيش: شرح المفصل 67/9، والأزهري خالد: شرح التصريح 340/2، وأبو حيان: إرتشاف 340/2، وأبو حيان: أرشاند الضرب 392/2.

قدوم، ولا مسم في لمستم).

وقد يقع جراء المماثلة المقطعية هذه أن تُرتكَبْ ضروب من مخالفات النحوية الشكلية فيبطل عمل الأدوات الجازمة، وخاصة في إشباعات المقاطع الداخلية (لم تكادي في تكدي، ولا ترضاها في ترضاها، ومتى يراك الناس، في يرك الناس، ولم ترى قبلي في لم ترقبلي، وفلا يغشانا، في يغشنا) شريطة وصل التراكيب، ونطقها سلسلة كلامية متوالية لا متجزأة، وبقية الأمثلة الموافقة يمكن العودة إليها في مسرد الأمثلة سابقا.

### 3.3- أهمية الإشباع

ولقد نعلم أن ابن اللغة، أيما لغة كانت، إنما ينشد لغته على تقسيمات موزعة بين البسط أو القبض، والزيادة أو التجرد، وهو يزاول ذلك بصورة اختيارية تلقائية، وفي ضوء ما انطبع فيه من عاداته اللغوية. وغايته وراء ذلك تتميم الكلام، وتقريبه من المتلقى مانوسا ومؤثرا معا.

ولا يعدو الإشباع أن يكون بعض الآليات في هذه التقسيمات، وخاصة في تقسيمات البسط في الكلام، إذ إنه، وبنحو ما ظهر من تحليل نظامه اللغوي، آلية بسط لا قبض وزيادة لا تجرد في البنى الصرفية التي تحوز عليه.

وعلى رغم ما عمقته متواليات البحث السالفة، من أن زيادات الإشباع محدودة التمثيل، وغير مطردة طبقا لقوانين لغوية ثابتة، وإنما على الرواية، إلا أنها زيادات جد فاعلة. وتعد علامة ثراء لا ضعف في أعطاف العربية، بل شكلا من أشكال السعة أو النماء فيها. والخروج إلى مثلها مقصود لذاته، لا سيما أنها زيادات لا تخالف خصائص لغرية أساسية، بل هي وفق سنن العربية وروحها، وفي المكنة الكشف عن أهميتها التعبيرية جودة لا رداءة من خلال الوظيفتين أدناه، وهما:

- الوظيفية التركيبية.

- والوظيفة فوق التركيبية.

### 1.3.3 - الوظيفية التركيبية:

وهذه لا تتجلى في قيم تركيبية نحوية، وإنما صرفية ومعجمية، ومناطها أبنية الصيغ الاسمية كثيرا، والفعلية قليلا، وقيمتها في هذا المقام أنها تعمل بمثابة آلية من آليات (التوليد اللغوي)، تلك التي تنمي اللغة بالمكاثرة في ثروتها المعجمية، ولو جزئيا.

مثلما هي الحال في آليات مناظرة أخرى مثل (القلب المكاني، أو إتباع الإيقاع). (26)  
على أنها تتمية صورية، تكاثر الألفاظ دون المعاني، فالمعنى المعجمي هو واحد  
سواء في بنية الوضع الأصلية أم بنية الإشباع الفرعية (دراهم: دراهيم، وعقرب:  
عقارب).

وبدورها تنعكس هذه الوضعية الصورية على نظام القولية الملازم للمفردات  
العربية، تممدا أو تقلصا فيه؛ من جهة أن مشروعية الاعتراف بنتائج الإشباع تؤدي  
إلى عد، البنية المشبعة شكلا مختلفا وجديدا، وذلك يعني إضافة عددية في الهرم  
الكلي للأبنية الصرفية، والعكس بالعكس، (يَنْبَعُ: ينباع تولد، يَفْعَلُ ويفعل) في أبنية  
الأفعال، و(حواجب: حواجب تولد فواعل وفواعيل) في أبنية الأسماء.

ولقد يشار هنا إلى أن أكثر الأبنية الصرفية احتضانا للإشباع قد مثلت في  
البحث في الأبنية الدالة على معنى الجمعية، من فصيلة "صيغ منتهى الجموع"  
(مفاعيل، فعايل، فواعيل، أفاعيل)، ثم مثلت في الأبنية الصرفية الثنائية التشكيل  
المقطعي (فُعال، فاعل، فعيل، فعول).

وعرفنا من الفقرة المتكلمة على الصلات العضوية بين الأبنية الصرفية،  
والمرقومة بصدر البحث، أن هذه النوعية من الأبنية الصرفية بها مرونة توليدية  
تحويلية تجعلها تقبل بعض التغيرات في أشكالها المادية الخارجية.

على أن الوظيفية التركيبية الأساسية للإشباع تبرز من خلال أثرها في الوحدات  
اللغوية الأقل من مفهوم البنية الصرفية القائمة برأسها، وهي المعروفة بالوحدات  
المقطعية وذلك عن طريق التصعيد الكمي فيها من الأقل نحو الأعلى، ولكي تجيء  
متوائمة مع مكانها من السلسلة الكلامية التي تنظمها.

ومثل هذه الخاصية تتبدى واضحة عند درج الكلام، لا وصله، ولا تختلف فيها  
إشباعات عن غيرها، على أنها لا فته للنظر في لغة الشعر كثيرا، حيث المفردات  
اللغوية تُقَطَّعُ تقطيعا صوتيا، كما لو أنها جميعا كتلة صوتية واحدة، وهو المشهور  
(بالتقطيع العروضي). ومن بحور الشعر تلتفى بأوزانه المرحومة بالفنائية، وبالدفعات  
الإيقاعية الرتيبة، وتخف بالأوزان السريعة، وفي الجدول أدناه عرض لإشباعات الشعر

الواردة بطي البحث.

26- انظر: الأقطش عبد الحميد: اتباع الإيقاع ص 148.



#### ♦ خطاطة إشباعات الشعر

البحر	الطويل	الرجز	البسيط	الوافر	الكامل	الخفيف
الورود	22	18	10	9	5	4

ومعلوم أن عروض الشعر العربي هو عروض الكم لا کیف. فهناك فرغات إيقاعية نمطية، ومخصوصة بكل بحر على حدّها، وتلك إذا لم تملأها المفردة المعجمية الأصلية، خطى الشاعر إلى إجراء بعض التعديل والتحوير في تلك المفردة لتتناسب وذلك الفراغ الإيقاعي المطلوب، وعليه فالإشباع بعض هذه الإجراءات العروضية.

ويصح ويصح القول إنه بعض الجبائر العروضية، مع التحوط هنا بأن مفهوم الجبيرة أوسع من مجرد استقامة الوزن الشعري، فيدخل في هذا المقام قضايا الشعرية المختلفة؛ ففضلا عن السلامة في الوزن هناك إشباعات لأجل (القافية). ومنها (لمصطلحي في مصطل) لدى أبي كبير الهذلي، والصورتان جائزتان وزنا، ولكنه لما كانت سائر قوافي القصيدة من روي اللام المحركة بالحركة المدية، بالكسرة الطويلة فقد لزم الإشباع من المنقوص النكرة المنون أيضا، لتكوين جبيرة إيقاعية للقافية.

وثمة إشباعات (للتصريح) حسب، ومنها (مغتدي في مغتد) لدى النابغة الذبياني وكلتا صورتين جائزتان وزنا، ولكن البيت مطلع قصيدة، والتصريح في المطالع سنة شعرية. وثمة إشباعات ليس فيها حاجة وزن أو قافية أو تصريح، وإنما تعكس نوعا من (التفنن) بالبنية الأكثر مواءمة لشعرية الشعر (برقوع في برقع) لدى النابغة و (أهلون في أهل) لدى الشنفرى.

#### 2.3.3 - الوظيفة فوق التركيبية:

وهذه تتجلى في ملامح تطريزية دلالية متنوعة يكتسبها المعنى، زيادة على نطاق دلالاته المعجمية الأساسية، من مثل: الانفعالية الوجدانية، والوضوح السمعي، والانسجام النغمي، والتخفيف العضوي على اللسان، وما إليها من اللطائف البيانية المعاونة. وكلها دلالات إضافية مرهونة في واقع الأمر بعامل الإيقاع الصوتي، الذي يجلبه الإشباع معه.

فالبنية المشبعة تغدو بالإشباع مملوءة بقوة رنين الحركات الطويلة، ومن شأن



ذلك أن يؤثر على الحالة النفسية للمتلقى ترنما أو تطريبا عند الفرح، وشجى أو نحيبا عند الترح.

ثم إن الحركات الطويلة بوصفها أصواتا مجهورة، وطلاقة، بلا أدنى درجة من احتكاك المخرج أو انفجاريته (27) فإن رنينها الصوتي، والموزع على كل سطح اللسان يجعل الصوامت المصاحبة لها تنطق صافية، وناصعة في السماع. ومع الزيادة الإشباعية فإن الوضوح السمعي يصل إلى مداه الأوسع، حتى وجدنا المكيين لما عابوا على النابغة الذبياني إقواء شعره بعثوا إليه بجارية فغنت بإشباع حركات الروي (الأسود) وقبلها (مزودي) فصحا إلى وجه المخالفة، وأصلح شعره (28)

ولم تعزب مثل هذه المطرزات الدلالية الإضافية عن علماء السلف، وخاصة الذين انشغلوا بالبحث اللغوي، فقد ندت عنهم إشارات إليها ومنها:

فقد ذكر سيبويه في باب: إشباع الحركات حتى تتشأ عنها الحروف "إذا ما ترنموا - أي العرب - فإنهم يلحقون الألف، والواو، والياء، وما ينون، وما لا ينون لأنهم أرادوا مدّ الصوت، وذلك قولك - مجموعة شواهد -، وإنما ألحقوا هذه المدة في حروف الروي، لأن الشعر وضع للغناء والترنم، فألحقوا كل الحرف الذي حركته منه" (29) وعند الثعالبي "العرب تزيد وتحذف للتوازن، وإيثاراً له. (30) وعند ابن جني: "العرب قد تلزم الضرورة في الشعر في حال السعة - أي دونما حاجة وزن أو قافية - أنسا بها، واعتيادا لها" (31)

وعنه في موضع آخر "رغبوا في توسيع مجال القول على أنفسهم، سعة في التفسير، وإرخاء للتنفس، وشحا على ما شجموه فتواضعوه أن يتكارهوه فيلغوه ويطرهوه، فاعرف ذلك مذهبا لهم، ولا تطعن عليهم متى ورد عنهم شيء منه. (32)

وعند الزركشي: "واعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل القرآنية حيث تطرد، متأكد جدا، ومؤثر في اعتدال نسق الكلام، وحسن موقعه من النفس تأثيرا

27- انظر في موضوع الحركات: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص 32 وكمال بشر: دراسات في علم اللغة، الأصوات ص 26.

28- انظر: بيتي النابغة في أمثلة: الكسرة، الضمة ص 15 بهذا البحث.

29 سيبويه: الكتاب 2/298.

30 الثعالبي: فقه اللغة ص 492.

31 ابن جني: الخصائص 3/303.

32- ابن جني: الخصائص 3/319.

عظيما ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها من ذلك (وتظنون بالله الظنونا)، لأن رؤوس الآي في هذه السورة ألفات منقلبة عن تنوين في الوقف، فزيد على النون ألف لتساوي المقاطع وتناسب نهايات الفواصل" (33)

وعموما تكاد الوظيفة فوق التركيبية أن تكون هي وحدها المنشودة في الإشباعات المنضوية تحت النمط (ص ح ح ح ص)، وأيضا (ص ح ح)؛ فأما الإشباعات المنضوية تحت نمط (ص ح ح ح ص) فلا يمتنع فيها اجتماع الوظيفتين معا التركيبية وفوق التركيبية، وخصوصا في مقام اللغة الشعرية.

ولقد يحسن في هذا الصدد أن نجذب الحديث هنيهة إلى إشباعات النمط (ص ح ح ح ح ص)، والمرفومة في هذا المبحث تحت تسمية (إشباع الحركات الطويلة) وقد ألمعنا من قبل إلى أن عنقودها الصوتي محول بالأساس عن نمط (ص ح ح ح ص)، وأنها مطردة في لغة القرآن المجيد، بل مستحبة جدا في حق تلاوته تلاوة سليمة، حتى قد كثر وسمها بالإشباع القرآني (إشباع المد).

والتدقيق مليا في خطاطة الاستعمال الواقعي لهذا النمط الإشباعي القرآني يكشف أنه مقترن، وجودا وعدما، بوقوع الحركة الطويلة قبل أحد أربعة المفاصل الاتية:

- قبل الصامت المشدد.
- وقبل الهمزة.
- وقبل صامت الوقف العارض في نهاية الآيات.
- وقبل صامت الوقف الدائم على الحروف المقطعة بأوائل السور (34).

ففي كل هذه المفاصل يلزم وجود صامت ساكن بنهاية البنية الإشباعية، أي أن المقطع يلزمه أن يكون مقفلا لا مفتوحا، ومع ذلك تفرق خطاطة الاستعمال بين صامت وآخر، فهي تفرد الهمزة بمفصل مستقل بها، وكذا المشدد، وليس ذلك عبثا، ولا حشوا بل لغاية مقصودة لذاتها. وأشرنا إليها في الشرح الخاص بقاعدة الساكنين، وهي غاية (المحافظة على الحركة الطويلة نفسها) فهي مقصودة لذاتها، ولما فيها من قوة في الرنين، وفي الوضوح السمعي.

33- الزركشي: البرهان 60/1.

34- انظر: ص 19 من هذا البحث.

ومعلوم أن وجود الحركة الطويلة في مقطع مقفل يجعلها عرضة للتقصير من كميتها الصوتية، وفقا للنظام السائد في عرف العربية، وجراء الاستفراغ التدريجي لتيار الصوت قبل الوقف، وتكون الحركة الطويلة أكثر عرضة للتقصير مع الهمزة، ومع الصوت المشدد.

فحرصا على صوت المد (الحركة الطويلة) وإبقاء على ما فيه من طول فقد بولغ في طوله كي لا يقصر، ناهيك عن كون الإطالة مع (الهمزة أو المشدد) تشكل استراحة يتكئ عليها القارئ ليتمكن من التهيؤ للنطق بهما، ولا خفاء أن كليهما محتاج في نطقه إلى طاقة عضوية خاصة.

وكذلك فإن مسألة الإشباع مهمة مع صوامت الوقف توطئة للوقف ذاته، كي يجيء رسلا واضحا لا فجاءة، وباهتا.

وفي خانة هذا المفهوم عن أهمية إشباع الحركات الطويلة لا تبعد بعض الاجتهادات الواردة عن علماء السلف فعن الإشباع قبل الهمزة يقول ابن جني: "إن الهمزة حرف نأى منشؤه، وتراخى مخرجه، فإذا أنت نطقت بهذه الأحرف المصوتة قبله، ثم تهاديت بهن نحوه، طلن، وشعن في الصوت، فوفين له، وزدن في بيانه ومكانه" (35)

ويقول مكي بن أبي طالب: "إن هذه الحروف خفية، والهمزة حرف جلد بعيد المخرج، وصعب في اللفظ، فلما لاصقت حرفا خفيا خيف عليه أن يزداد بملاصقة الهمزة له خفاء، فبين بالمد ليظهر" (36)

وعن الإشباع قبل المشدد يقول ابن جني "أما سبب نعمتهن ووفائهن إذا وقع المشدد بعدهن؛ فلأنهن سواكن، وأول المثليين من التشديد ساكن، فيجفوا عليهم أن يتلقى الساكنان حشوا في كلامهم، فحينئذ ما ينهضون بالألف بقوة الاعتماد عليه، فيجعلون طولها ووفاء الصوت بها، عوضا مما كان يجب لالتقاء الساكنين من تحريكها، إذا لم يجدوا عليه تطرقا ولا بالاستراحة إليه تعلقا وذلك نحو: دابة" (37).

ويقول مكي: " فلما وقع بعد حروف المد واللين حرف مشدد وأوله ساكن حروف المد واللين سواكن، لم يمكن أن يوصل إلى اللفظ بالمشدد بساكن قبله، فاجتلبت مدة تقوم

35- ابن جني: الخصائص 127/3.

36- مكي بن أبي طالب: الكشف عن وجوه القراءات السبع 46/1.

37- ابن جني: الخصائص 128/1.

مقام الحركة، يوصل بها إلى اللفظ بالمشدد، وكانت المدة أولى لأن الحرف الذي قبل المشدد حرف مد، فزيد في مدة لتقوم المدة مقام الحركة، فيتوصل بذلك إلى اللفظ المشدد " (38).

وعن الإشباع قبل الوقف يقول مكي: "والعلة في المد للساكن بعد المشدد يقع بعد حروف المد واللين، كالعلة في المد المشدد، لأن بالمدة يوصل إلى اللفظ بالساكن بعد حرف المد واللين، فليس في كلام العرب ساكن يلفظ به إلا وقبله حرف متحرك، أو مدة على حرف مد تقوم مقام الحركة (39)

وكذا ينتهي ما أردنا عرضه، مما تيسر لنا حول موضوع: الإشباع الصوتي في المقاطع العربية.

وبالله التوفيق ...

38- مكي: الكشف 60/1.

39- مكي: الكشف 60/1.



## المراجع

### القرآن الكريم

- 1- إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، القاهرة، دار النهضة، 1961.
- 2- ابن الأنباري، أبو البركات: البيان في غريب القرآن، ت: طه عبد الحميد والسقا، القاهرة، إدارة الثقافة 1970م.
- 3- ابن الجزري، أبو الخير: النشرة في القراءات العشر، ت: علي محمد الضباغ، القاهرة، التجارية.
- 4- ابن جني، أبو الفتح: الخصائص، ت: محمد النجار، بغداد، دار الشؤون الثقافية، وسر صناعة الإعراب، ت: السقا والزقراف وارايم مصطفى، القاهرة، مصطفى الحلبي 1954م، والمصنف لكتاب التصريف للمازني، ت: ابراهيم مصطفى وعبدالله أمين، القاهرة 1954.
- 5- ابن الجوزي، أبو الفرح: المدخل إلى تقويم اللسان، ت: عبدالعزيز مطر القاهرة، دار المعارف، 1980م.
- 6- ابن عصفور الأشبيلي: الممتع في التصريف، ت: قباوة، بيروت، دار المعرفة.
- 7- ابن يعيش، أبو البقاء: شرح المفصل، بيروت، عالم الكتب.
- 8- أبو البركات الأنبري: الإنصاف في مسائل الخلاف، ت: محمد محي الدين، القاهرة، التجارية، 1961م.
- 9- أبو حيان الأندلسي: إرتشاف الضرب من لسان العرب، ت: مصطفى النحاس القاهرة، المدني.
- 10- الأزهرى خالد: شرح التصريح على التوضيح، القاهرة، الحلبي.
- 11- الاستراباذي، رضي الدين: شرح شافية ابن الحاجب، ت: محمد محي الدين وآخرين، القاهرة، 1939م.

- 12- الأقطش، عبد الحميد: الأبنية الصرفية في شعر عنترة، رسالة ماجستير القاهرة 1980م، واتباع الإيقاع في اللغة العربية، ت: البكري، القاهرة السماح، 1929م.
- 13- برجستراسر، جوتهالف: التطور النحوي للغة العربية، ت: البكري، القاهرة السماح، 1929م.
- 14- بروكلمان، كارل: فقه اللغات السامية، ت: رمضان عبدالتواب، الرياض الجامعة، 1977م.
- 15- الثعالبي: أبو منصور: فقه اللغة، القاهرة، التجارية، 1938م.
- 16- الجبوري، سهيلة: الخط العربي وتطوره، بغداد، المثني.
- 17- الحديثي، خديجة: أبنية الصرف في كتابه سيبويه، بغداد 1964م.
- 18- خليل يحيى نام: دراسات في اللغة العربية، دار المعارف 1974م.
- 19- الزركشي، بدر الدين: البرهان في علوم القرآن، ت: أبو الفضل ابراهيمي القاهرة، الحلبي 1959م.
- 20- الزنجاري، عزالدين: التصريف العزى ومعه حاشية النووي: تدريج الأداني القاهرة، دار إحياء الكتب.
- 21- السامرائي، إبراهيم: التطور اللغوي التاريخي، القاهرة، معهد البحوث 1969.
- 22- ستيتيه، سمير: تحليل الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب الأردن مجلة البلقاء، م 4/1 1961.
- 23- السيد ابراهيم محمد: الضرورة الشعرية، بيروت، الأندلس، 1979م.
- 24- سيبويه، عمرو: الكتاب، ت عبدالسلام هارون، بيروت، عالم الكتب.
- 25- صبحي الصالح: دراسات فقه اللغة، بيروت، دار العلم، 1968م.
- 26- ظاظا، حسن: الساميون ولغاتهم، القاهرة، دار المعارف، 1971م.
- 27- ظافر يوسف: الأبنية المستدركة على كتاب سيبويه، رسالة ماجستير جامعة حلب 1984م.
- 28- عبابنة، جعفر: حقيقة الإدغام، أبحاث اليرموك، م 3 ع 2، 1985.
- 29- عبدالرحمن أيوب: أصوات اللغة، القاهرة، دار التأليف 1980.
- 30- عبدالصبور شاهين: المنهج الصوتي للأبنية العربية، الرسالة 1980 ودراسة إحصائية لجذور العربية، جامعة الكويت رقم 7.

- 31- عبدالعزيز مطر: لحن العامة، القاهرة، دارالمعارف، 1981م.
- 32- عبدالقادر عبدالجليل: اللسانيات الحديثة، الأردن، دار صفاء، 2001م.
- 33- عصام نورالدين: أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب، بيروت المؤسسة الجامعية.
- 34- عطية قابل: غاية المريد في علم التجويد، القاهرة، الحرمين 1997م.
- 35- فليش، هنري: العربية الفصحى، ت: عبدالصبور شاهين، بيروت، الكاثوليك
- 36- القزاز، القيرواني: ضرائر الشعر، ت: محمد سلام هدارة، دار المعارف.
- 37- القطان، مناع: مباحث في علوم القرآن، بيروت و الرسالة، 1999م.
- 38- كمال محمد بشر: دراسات في علم اللغة، الأصوات، القاهرة، دار المعارف.
- 39- محمد عوني عبدالرؤوف: بدايات الشعر العربي بين الكم والكيف، القاهرة الخانجي 1978، والقافية والأصوات اللغوية، القاهرة الخانجي 1977م.
- 40- مكي ابن أبي طالب: الكشف عن وجوه القراءات السبع، ت: محي الدين رمضان، دمشق، مجمع اللغة، 1974م.
- 41- نولدكه، تيودور: اللغات السامية، ت: رمضان عبدالنواب، القاهرة الخانجي.
- 42- ولفنسون، اسرائيل: تاريخ لغات السامية القاهرة، السماح 1929.
- 43- يحيى القاسم: أثر المقطع المرفوض في بنية الكلمة العربية، أبحاث اليرموك م/4، ع 1، 1996م.